

الفصل الأول

أضواء على البيئة

مدينة نيبون :

تقع مدينة نيبون على مسافة تسعين دقيقة بالقطار الكهربائي من طوكيو في أرجاء سهل كاتسو . وممة في الوقت الحاضر قطاعات ضخمة من السكان اليابانيين يعيشون في ظروف مشابهة ، فيكونون ملاصقين للمراكز الحضرية الحديثة للصناعة والتجارة ولكنهم لا يشكلون جزءا منها . وتعد - نيبون ، وقد أحيطت بحقول الأرض المغمورة بالمياه منذ حوالي ألفي عام - ملتقى المؤثرات والنظم الاقتصادية وطرائق الحياة التقليدية والحديثة في نفس الوقت . وترتبط مدينة نيبون وما يشاكلها من مجتمعات أخرى ارتباطا مباشرا بالأنماط الاجتماعية الحضرية الحديثة التي تقسم بها المدن اليابانية الكبرى وذلك بفضل وجود نظام كفء للمواصلات العامة . على أن عملية استيعاب هذه الأنماط الحضرية الجديدة ما تزال بعيدة عن الاكتمال .

إن أية دراسة للمجتمعات المحلية اليابانية - ابتداء من أكثر مناطق طوكيو حداثة حتى أكثر القرى الجبلية تحلفا وانعزالا - عليها أن تأخذ في اعتبارها تضافر المؤثرات التقليدية والحديثة وتأثيرها في ضروب حياة الناس وفي أنماط المؤسسات بمجتمعاتهم . بيد أنه مع وجود كثير من أنماط الحياة جنبا إلى جنب ، فإن مدى التكيف الممكن لواقع الحياة اليابانية الحديثة يمكن مشاهدته بسهولة جداً .

أما محطة السكة الحديدية لمدينة نيبون فتقع قريبا من مركز المدينة

وتواجه ميدانا هاما فسيحاً . وتستخدم ثلاث شركات للأوتوبيس . الميدان كوقوف لسبعة وخسين خطاً تشعب من مركز سكان الحضر إلى الأماكن الريفية المحيطة التي تقع في نطاق حدود المدينة . ويبلغ مجموع سكان مدينة نيون ٧٠.٠٠٠ نسمة يقطن منهم ٢٥.٠٠٠ في القطاع الحضري المركزي . أما الباقيون وعددهم ٤٥.٠٠٠ نسمة فانهم يقطنون في تجمعات صغيرة مستقرة ومتناثرة في نطاق المدينة يفصلها عن بعضها وعن القطاع الحضري المركزي مزرعة وأراضي غابات .

ويحتل أحد فروع متجر رئيسي من طوكيو مكون من ثلاثة طوابق أحد جوانب الميدان العام . وهناك وفقاً للنظام المتبع بطوكيو محل متخصص للطعام بالدور الأرضي ، كما أن هناك حديقة ملاهي للأطفال وبرج ملاحظة على السطح . وتحتوي قترينات العرض عادة على آخر مودات السيدات بالغرب .

وعلى مسافة أبعد يشاهد حول الميدان مؤسسات أصغر متنوعة منها دكانان صغيران يوفران الخدمات للدراجات العادية التجارية المتجمعة بالموقف والتي يسافر أصحابها يومياً إلى طوكيو . فتل تلك الخدمات ليست هامشية بالمرّة في مدينة يجد عشر أفرادها العاملين العمل في نطاق طوكيو كما أن حوالي خمسمائة طالب يتوجهون يومياً بانتظام إلى المدرسة بالمدينة . أما أولئك الأكثر ثراء ، الذين يتوجهون يومياً إلى طوكيو وكذا الزائرون فانهم يستعينون بالتاكسيات التي خصصت لها مواقف إلى جانب مواقف الدراجات . أما السيارات الخاصة فانها نادرة . وتعتبر الدراجات البخارية هي النمط المألوف لانتقال الطبقة الوسطى .

أما الأوتوبيسات فبعد مغادرتها للميدان تسلك عبر طريق المحطة Station Avenue وهو شارع طويل ملتو يزيد اتساعه عن كيلو متر .

ويمتد المركز التجارى لمدينة نيون عبر هذا الشارع الذى انتظم فيه على كلا الجانبين تشكيلة واسعة من المقاعد الخشبية ودكاكين كبيرة وصغيرة ومتاجر كبيرة للبيع بطريقة الخدمة الذاتية وكذا المباني المنفطرة وقصور الملاحى والبنوك والفنادق . ويستطيع الموظف ذو الياقة البيضاء والفلاح التقليدى أن يجدا ما يحتاجان إليه من سلع وخدمات فى مكان ما فى طريق المحطة أو فى شوارعه الجانبية .

وفى نهاية طريق المحطة أى بعد حوالى كيلو متر من المحطة ، يوجد المقران القديم والحديث للحكومة . وهناك مبنى مهدم ظل هيكله قائماً يتكون من طابقين يضم قاعة مدينة نيون Nippon City Hall ومركز الإطفاء . وإلى مسافة أبعد من هذا المبنى يوجد مبنى يضم الممثلين الإقليميين لحكومة الولاية المسؤولة عن الإقليم الذى تعتبر مدينة نيون مركزاً له . وعبر الطريق يوجد مكان قلعة لورد إقطاعى وقد أحيط بخندق مائى وقلعة للطبول وما تزال بعض الحداثق موجودة هناك . ولقد استحال مكان القلعة الذى ظل مركزاً للحكومة إلى حوالى مئة عام مضت إلى متزه جميل للمدينة به ساحات وحديقة حيوان صغيرة ، وفناء يلعب فيه الأطفال وحمام سباحة افتتح منذ وقت قريب . ويمكن أن يشاهد هناك تبعاً للوسم أزهار الكرز تحيط بحمام السباحة ، كما يمكن مشاهدة معرض سنوى لزهور الاقحوان أو مباراة مصارعة خاصة للمحترفين من الطراز الغربى .

ويوجد خلف المتزه طريق عام قوى مرصوف رصفاً جيداً خلال المدينة على ممر مواز لطريق السكة الحديدية . وهو يضرب فى أثر طريق قديم يرجع إلى عهد ايدو EDO Period (فيما بين ١٦٠٠ و ١٨٦٨) الذى كان يستخدمه لوردات الإقطاع فى حجم السنوى إلى ايدو التى تعرف الآن باسم طوكيو . أما الجزء من الطريق العام الذى كان يخترق يوما من خلال

مركز المدينة فقد أعيد شقه في السنوات الحديثة لكي يمر خارج أراضي القلعة القديمة . وتؤدي درجات عالية متلاحقة إلى الهضبة على كلا الجانبين من الوادي الواسع حيث تقوم مدينة نيبون .

أما جوانب الوادي التي تشكل هضابا عالية حوالى كيلو مترين ونصف منفصلة ، فقد كانت سككا قصيرة لبحيرة فيما قبل التاريخ كانت تغطي ذات يوم قاع الوادي ، أما قاع الوادي خارج مركز النمو الحضري المتميز بوضوح ، فانه مغطى بحقول الأرز المغمور بالماء ، تفصلها سدود صغيرة لتقسما إلى قطع أرض يمتلكها ويقوم بزراعتها أسر فردية .

ولا يقيم المزارعون بين الأراضي الزراعية ، بل يقيمون في كفور buraku مستقرة يتكون كل منها من خمسة عشر بيتا أو أكثر . وهم يقومون بزراعة مجموعة من القطع الصغيرة متناثرة في مواقع متباعدة .

وعلى قمة الهضاب تشرف حقول جافة عالية ومساحات مكتظة بالغابات بينما امتدت حقول الأرز المروية عبر شواطئ الأنهار الصغيرة أو في المناطق الوطية .

ونستطيع أن نخلص من الوصف السابق إلى أن كلمة " مدينة " لا تعنى نفس الشيء كما هو الحال بالولايات المتحدة . ففي اليابان قسمت المساحة الكلية لكل ولاية تحقيقا لأهداف الحكم المحلي إلى قطاعات جغرافية أطلق عليها اسم shi (مدينة) و machi (بلدة) و mura (قرية) . وعلى الرغم من الترجمات الإنجليزية المستخدمة عادة فإن أيا من هذه الألفاظ لا ينم على الوحدات السكنية المسماة بالمدن والبلدان والقرى بأمريكا أو إنجلترا . إنها في اليابان أقسام جغرافية جزئية نظمت بحيث تقع جميع أرض الولاية في نطاق واحد من تلك الأقسام . والفرق الاساسى فى تقسيمات الوحدات السياسية هو المجموع الكلى للسكان ، على الرغم من أنه من

المتفق عليه بوجه عام أن المدن تضم نسبة مئوية أكبر من السكان الحضريين ونسبة أعلى من السكان المشتغلين بوظائف حضرية أكثر من البلدان أو القرى . على أن غالبية المدن تضم جزءاً كبيراً من سكان الريف والمزارع ، بينما قد تضم البلدان والقرى بعض قطاعات حضرية .

وتظهر خريطة مدينة نيون الموجودة في صدر هذا الكتاب موقع مناطق السكان الحضرية والريفية والطريق العام الرئيسي وخط السكة الحديدية وغير ذلك من ملامح جغرافية . وثمة إلى الشمال مباشرة من مركز النمو الحضري وعلى قاع الوادي توجد منطقة متاخمة للنمو الحضري مقابلة للهضبة . لقد كان المركز الحضري لبلد طوكاي فيما مضى لارتباطه بمركز النمو الحضري برابطة ضيقة من التطور الحضري عبر الطريق القديم للطريق العام القومي — مركزاً منافساً للنمو التجاري الحضري . ومنه امتدت الكفور الزراعية buraku في كل اتجاه عبر الهضبة .

ويوجد شمال وغرب بلدة طوكاي التي تضم منطقة كبيرة من الأرض أكثر الأجزاء تخلخلاً بالسكان من المدينة ، وهو جزء زراعي في طبيعته بالدرجة الأولى . ويوجد بين بلدة طوكاي والمركز الحضري للمدينة حقول الأرز المغمورة بالماء ومكان فسيح خاص بمصنع بالمدينة . وعلى الرغم من أن الجانب الشمالي من المدينة منطقة زراعية بالدرجة الأولى ، فإن جميع أجزاء المدينة تضم سكاناً زراعين بما في ذلك الأطراف الخارجية للمركز الحضري . وحيثما امتد النمو الحضري إلى ما كان مائماً قبل ذلك من كفور ، فإن الأسر الزراعية وغير الزراعية دأبت غالباً على العيش جنباً إلى جنب ، جاعلة من الصعب الفصل فيما بين الأحياء الحضرية والأحياء الريفية . وكثير من الأسر تنخرط في العمل الزراعي وغير الزراعي في نفس الوقت . والنمط الشائع للأسرة هو أن يلتحق رب الأسرة بعمل يتقاضى عنه مرتباً ، بينما

تقوم الزوجة وغيرها من أفراد الأسرة على شئون المزرعة مع مساعدة الزوج خلال وقت فراغه .

ولقد أدى الضغط السكانى الهائل المتزايد فى طوكيو والذي أوصل للرقم الرسمى للسكان حديثا إلى أكثر من عشرة ملايين نسمة فى الأحياء المدنية فى طوكيو ، نقول أن هذا أدى إلى أن المسئولين عن التخطيط بالحكومة القومية شجعوا رسميا الخطط الرامية إلى إنشاء مدن تابعة محيطية بطوكيو تدور فى فلكها مما ساعد على جذب الصناعات الجديدة وغيرها من منظمات . ولقد كانت مدينة نيون واحدة من تلك المدن التابعة .

ووفقا لوصف حديث فإن خطط تطور مدينة نيون أظهرت زيادة هائلة فى النسبة المئوية للقوى العاملة المستخدمة فى الفئات الصناعية والبنائية (من ١٤ إلى ٤٠ فى المائة) بينما ظلت قوة العمل فى مجال الزراعة ثابتة . على أن النسبة المئوية للعمال الزراعيين سوف تهبط من ٢٩ إلى ١٠ فى المئة عن القوة العاملة المستخدمة وذلك بفضل الزيادة المتوقعة فى السكان إلى ثلاثة أضعاف المستوى الحالى .

وثمة جوانب أخرى من خطط التطور تذهب إلى ما هو أبعد من التطور الصناعى . وهناك خطط تأخذ مجراها لنقل جامعة خاصة من طوكيو إلى مدينة نيون ، ولقد أقيمت بعض المنشآت لجزء من المباريات الأولمبية لعام ١٩٦٤ التى اتخذت لها مركزا بطوكيو ، كما بدىء فى إنشاء مدينة للملاهى ضخمة لجانب الساحل .

ولقد كان من الخطوات الأولى فى خطط تطوير المدينة التى بدىء فى اتخاذها البدء فى إنشاء مصنع رئيسى على الهضبة خلف بلدة طوكاى .

ومدينة نيون هى أوسع بيئة بالمجتمع المحلى لهذه الدراسة . وهناك فى المدينة خمس مدارس متوسطة تقوم بخدمة القطاعات المختلفة بها .

وحى مدرسة نيتشو المتوسطة الواقعة في الركن الشمالى الغربى من المدينة هو المجتمع المحلى للمناقشة الواردة في السطور التالية . ومادام هذا الحى نابعا كوحدة سياسية واجتماعية لمدينة نيون ، فإن الإشارة باستمرار إلى المجتمع الأوسع بعد تكون ضرورية .

حى مدرسة نيتشو المتوسطة :

يتكون حى مدرسة نيتشو من مجتمعين محليين : مدينة طوكاى الضخمة المتحضرة ، ومنطقة « يونا » الريفية . ولقد اندجت هاتان الوحدتان السياسيتان اللتان كانتا مستقلتين من قبل مع مدينة نيون في عامى ١٩٤٠ و١٩٤٧ على التوالى . وفى إبريل من عام ١٩٤٩ ارتبطتا من أجل إنشاء حى لمدرسة متوسطة . وتعتبر مدرسة نيتشو المتوسطة التنظيم الرسمى الرئيسى الذى يربط حاليا بلدة طوكاى بمنطقة « يونا » خارج نطاق اقتسامها المشترك إلى مدينة نيون . وللحفاظ على الكيان المستقل لكل منهما كقطاعين مستقلين بالمدينة ، فقد أبقى على مكاتب البريد والتعاونيات الزراعية والمدارس الابتدائية بكل منهما مستقلة عن الأخرى .

وهناك شعور أكبر بالتضامن بين المستوطنين ببلدة طوكاى وبخاصة بين أولئك الذين يعيشون بالمركز الحضرى ، أكثر مما هو قائم بين المستوطنين بمنطقة يونا . فساكن طوكاى يعيشون في تقارب أوثق بعضهم إلى بعض ولديهم تاريخ أطول من العمل كوحدة سياسية واجتماعية .

ويعتبر « مزار » شينتو Shinto Shrine المركزى الذى يخدم المنطقة في نطاق البلدة السابقة رمزا للوحدة ببلدة طوكاى . ويشكل ممثلون من كل قطاع بالبلدة بوصفهم مسئولين عن تمويل وصيانة المزار جمعية الأوصياء على المزار : (Doro, 1958 ص ٢٩٦ - ٢٩٧) . وأقيم في عام ١٩٦٢ نصب تذكارى حجري لرجال البلدة الذين قتلوا في الحرب العالمية الثانية .

وتضمنت الأسماء المنقوشة على ظهر النصب رجالا من بلدة طوكاى، ولكن لم يذكر أحد من مقاطعة يونا .

وليس هناك مزار شنتوى مركزى لمنطقة يونا . ولكن يوجد هناك بدلا من ذلك عدة نصب محلية . والواقع أنه عبر كل من بلدة طوكاى ومنطقة يونا يوجد كثير من المزارات الشنتوية الصغيرة . ينتمى بعضها إلى منطقة محددة وبعضها الآخر لا يتسم بذلك .

والفارق الرئيسى بين بلدة طوكاى ومنطقة يونا هو اختلاف نسبة السكان العاملين بالزراعة . فمنطقة يونا زراعية بالدرجة الأولى ، بينما تعد بلدة طوكاى مستقرا حضاريا إلى حد بعيد ينخرط مستوطنوها فى ألوان متباينة من الوظائف . وعدد الناس المشتغلين بالصناعة فى بلدة طوكاى أعلى بشكل واضح من متوسط المجموع بمدينة نيون ، ويمكن أن يعزى هذا إلى وجود مصنع ماكينات الحياكة فى نطاق بلدة طوكاى الذى يمتلكه أحد رجال الأعمال المحليين ، وهو شخص يحس بروابطه الاجتماعية ببلدة طوكاى .

وخارج الحى التجارى بطريق المحطة توجد دكاكين المنطقة المجاورة فى الحجرات الإمامية لأصحاب البيوت ويقوم أفراد أسرة المالك بإدارة كل منها . وحتى المحال التجارية الأكبر ببلدة طوكاى هى امتدادات للشقق التى يقطنها أصحاب المبنى . وتتم إدارة المؤسسات الصناعية الصغيرة على نفس الأساس بما فى ذلك المحل الخاص بآلات تشغيل المعادن الموجودة ببلدة طوكاى والموجود بعد منزل صاحب المصنع مباشرة حيث يقوم المالك مع ابنه الأكبر بانجاز معظم العمل .

ويعيش سكان إقليم يونا فى مجموعات كفور متناثرة على نطاق واسع ويميلون إلى تمييز أنفسهم بكفورهم . وهذا يصدق أيضاً على المقيمين .

ببلدة طوكاي الذين يعيشون في المنطقة الزراعية التي كانت واقعة تحت حكم ماتشي machi قبل الاندماج مع مدينة نيون .

وتعترف حكومة المدينة بالكفور buraku لأسباب تتعلق بالإحصاء الرسمي للسكان . فالكفور الموجودة بحى نيتشو تضم كل منها فيما بين ٢٥ و ٤٠٠ أسرة وبينما نجد أن الكفور عبارة عن مستعمرات متجاورة من أسر ريفية في العادة ، تشغل كل منها عادة بالزراعة ، فإن الكفور في ضوء التحديد الإحصائي إنما يتكون في الغالب من مستعمرات أصغر متعددة وغير متجاورة ترابط فيما بينها في وحدة أكبر تحقيقاً للرفاهية . ويطلق الناس الذين يعيشون في نطاق الكفور نفس التسمية على المستعمرات الأصغر أيضاً . وهذا الكفور مجتمع محلي اجتماعي محدد القسمات بوضوح ، . . . لدى سكانه إحساس قوى بالانتماء إلى مجموعتهم (BEARDSLEY, Hall. and (ward 1959 : 4 .

وفي القطاع الحضري من بلدة طوكاي والذي يشار إليه تحت اسم طوكاي دون تدقيق ، هناك ثمانية أحياء في ضوء التحديد الإحصائي ku ، تعمل بطرق مشابهة لما هو حادث بالكفور الريفي . وثمة اثنان من هذه الأحياء هي من جهة زراعية ومن جهة أخرى حضرية .

والأحياء التي من هذا النوع ku مرققة ولا يشار إليها في العادة باسم معين . وتعرف بالحى ku الأول من لو كاي ماتشي . . الخ .

ولإقليم يونا جوانب حضرية كثيرة شأنه في ذلك شأن الأقاليم اليابانية الريفية الأخرى . وتعيش الأسرة اليابانية الريفية ملاصقة لجيرانها في حى يندمج بعضه في بعض . ويعني تكاثف سكان الريف أن كثيراً من أسباب الراحة التي تمتاز بها الحياة الحضرية يسهل انتقالها إلى المناطق الريفية . فعلى سبيل المثال نجد أن بيوت يونا قد أضيئت بالكهرباء منذ مدة طويلة .

ويقوم نظام الأوتوبيس المتبع بالمدينة بالعمل في جميع (الكفور) . وتصل وسائل الاتصال بالجمهير إلى جميع البيوت . وفي متناول كل واحد تقريباً الحصول على جهاز تليفزيون وجهاز راديو سواء في بيته شخصياً أو في بيت جاره . وتصل الصحف القومية مرتين يومياً وتصل إلى جميع البيوت التي لدى أصحابها الثمن البسيط المطلوب للاشتراك فيها . والواقع أن تأثير الأنماط الحضرية وقيمها ملحوظ في كل مكان هناك .

ولقد لاحظ مؤلفو كتاب Village Japan أن هناك اتجاهات نحو نمط الطرق الحديثة الحضرية ، (Beadsley, Hall, and ward, 1959 : 95) . وأشاروا أيضاً إلى بعض العناصر في المنطقة الريفية التي اضطلعوا بدراستها . وأشاروا أيضاً إلى بعض العناصر الهامة التي تعمل على الوصل بين نمط حياة سكان المدينة الحضرية وبين طريقة حياة سكان المناطق الريفية . ولقد أدت الممارسات الزراعية المركزة التي يقوم بها المزارعون اليابانيون إلى د انضغاط السكان ، وهو ما ينعكس في كل من نمط الحياة الريفية والحضرية . وبالمثل فإن القيمة المنخفضة التي ينظر بها للوقت البشري ، يمكن أن تشاهد في السعر المنخفض جداً للحلقة أو في طول ساعات العمل الشاق المكشوف الذي يبذل في إنتاج الأرض بالريف وربما يكون د ما هو قائم كطريقة كاملة للحياة في المجتمع المحلي الريفي طبقة واحدة من حياة المدينة ، . على حد رأى مؤلفي كتاب Village Japan (3 - 2 - 1959) . على أنه في مقابل هذا فإن طريقة الحياة الحضرية تترك بصماتها على الأنماط الريفية من الحياة .

بعض جوانب البناء الاجتماعي :

على مستوى المجتمع المحلي باليابان ما يزال القول يصدق على أن الوحدة الأساسية للمجتمع من وجهة نظر الناس هي العائلة وليس الفرد . فأى

ما كن هناك يصف حجم الكفر الذى ينتسب إليه بعدد العائلات الموجودة به . وفى أعين الجيران ينظر إلى الشخص كعضو فى عائلة معينة أكثر من أن ينظر إليه كفرد معين بالذات .

والعائلة اليابانية التى يطلق عليها لفظ ie هى وحدة محددة من الناحية الاجتماعية راسخة الدائم بفضل تراث طويل . وتشير كلمة ie أيضاً إلى نسب الأسرة . وهى فى مقاطعة نيتشو كما هو الحال فى معظم أجزاء اليابان تتكون فى العادة من الأصول الأبوية ومن امتداد الأسرة عبر الأسلاف المحليين . وهؤلاء الأسلاف فى سلسلة نسب الأسرة سواء كانوا على قيد الحياة أم فى طى الموت فانهم يعتبرون إلى حد بعيد جزءاً من الأسرة ie التى تستمر خلال الزمن . . . مع تغير أفرادها ولكنها تظل دكيانا ، ثابتا (Dore 1958 - 95) . وبينما تضم العائلات بوجه عام الأعضاء الأحياء المنتسبين إلى سلالة أسرية واحدة ، فإن بعض أعضائها قد يقيمون فى أما كن أخرى .

وفى الشكل المثالى فى ظل الوضع الزراعى ، فإن العائلة ie وممتلكاتها بما فى ذلك المزرعة والمنزل تدار دفتهم كوحدة اجتماعية واقتصادية واحدة مع العمل التعاونى الذى يضطلع به الأفراد الكبار فى الأسرة . . أما وجود الأسلاف فيمثل له بلوحات تحمل اسم كل السلف الراحل فى العائلة . ويعرض فيما يشبه الخزانة الصغيرة الخاصة بالعائلة ويطلق عليها ، المذبح البوذى . ويبدأ أكبر الأولاد باعتباره وريثاً لسلسلة نسب الأسرة فى العمل مع أبيه فى الحقول بينما يواصل تعلمه النظامى بالمدرسة . وتكون زوجته وأولاده أعضاء أسرة دائمين ، وتنقل زوجته رسمياً من عائلتها ie بالولادة إلى عائلة زوجها لدى اقترانها به فى الزواج . وبذا فإن الزوجة تتزوج فى نطاق أسرة ولا يكون زواجها مجرد إقامة علاقة معينة مع زوجها .

وعندما يقرر الجيل الاقدم المسكون من الجد والجددة تسليم العمل الشاق والرئاسة المتعلقة بعائلتهما إلى أكبر أبنائهما أو إلى الخلف ، فانهما يعتزلان وينتقلان إلى بيت للتقاعد أو إلى جناح مجاور تماماً للخلف . بيد أن مطبخ الاسرة وحمامها يظلان في الغالب متسعين لها . وقد يظل جيلان من أجيال الاسرة الكبار لفترات طويلة من الزمن يعيشان ويعملان بعضهما مع بعض في جميع شئون الأسرة .

وقد يظل الأبناء غير المتزوجين الآباء الكبار جزءاً متكاملًا من العائلة ومن حياتها . أما البنات الناضجات فإنهن يتزوجن إن أمكن خارج نطاق العائلة ويدخلن أسر أزواجهن . أما الأبناء التوالى الأبناء الكبار بما في ذلك جميع الأبناء باستثناء أكبرهم فلهيهم فرص متعددة . فهم قد يتزوجون في نطاق العائلة التي ليس لديها ابن لكي يستمروا بسلسلة نسب الأسرة . وفي تلك الحالة يكونون أزواجاً بالتبني Adopted Husbands ويتخذون أسماء زوجاتهم ويصيرون في حالات كثيرة أكبر الأبناء لعائلاتهم الجديدة . وهناك وضع بديل لهذا هو أن تعتمد العائلة الثرية بدرجة كافية إلى أن يكون الابن الثاني وزوجته فرعاً جديداً للعائلة bunke وهما يشاركان في هذه الحالة في مزرعة الأسرة ويتخذان لنفسهما بيتاً جديداً . وبهذه الطريقة تولد عائلة جديدة على الرغم من أنها تحمل علاقة مباشرة بالبيت الرئيسي bunke الذي انبثقت عنه . ويمكن أن تنشأ هذه الأسرة bunke أيضاً بالنسبة لإحدى البنات وزوجها وفي هذه الحالة يضم الزوج إلى الأسرة ويحمل اسمها ولكنه لا يصبح وريثاً لسلسلة نسب الأسرة ie . وثمة احتمال ثالث بالنسبة للأبناء التوالى غير الوارثين . . وهو من أكثر الممارسات شيوعاً في مقاطعة نيتشو — هو تعيينهم في وظيفة حضرية جديدة . وينظر إلى التعليم ذي المستوى الأعلى بوجه عام باعتباره طريقاً مرغوباً فيه لإلحاق

مثل هؤلاء الأبناء في وظيفة جديدة ، ولكن حتى هؤلاء الذين لا يستمرون إلى ما هو بعد التعليم الإجبارى يمكن أن يحصلوا بسهولة على وظائف بالمدينة . ولقد زاد الطلب على خريجي المدرسة المتوسطة من جانب مختلف أصحاب الأعمال ٢٧ مرة من عدد الأطفال الذين كانوا مطلوبين في عام ١٩٦٢ (Japan Times, Sept. 17, 1962) . وإذا لم يواصلوا التعليم بعد التخرج في المدرسة المتوسطة ، فإن كلا من البنات والأولاد على السواء يبحثون عن عمل في مدينة نيبون أو في طوكيو أو في غيرها .

وكقاعدة عامة فإن الأبناء التوالى يتركون مسقط رءوسهم باحثين عن الصناعة والتجارة بطوكيو التي ظلت تستوعب الفائض من سكان سهل كانتو خلال قرن التطور الحديث . وبذا فإنهم يقيمون عائلة جديدة . ففي مدينة نيبون بالقرب من طوكيو يمكن أن يعطى لمثل هؤلاء الأبناء بيت في المجتمع المحلي لكي يقيموا أسرة جديدة bunke بدون مزرعة . أما البنات اللائي يذهبن إلى العمل فأنهن يرجعن إلى بيوتهن بعد سنوات قليلة للاستعداد للزواج .

وثمة اهتمام عام لدى الأسرة القروية اليابانية هو الاستمرار المتواصل للعائلة ie . وبالنسبة للأسر الريفية الموسرة فإن هذا لا يكون من الصعوبة بمكان لأن الأزواج بدون أطفال ويستطيعون تبنى الأطفال الذين يطلق عليهم في هذه الحالة اسم atotsugi (أى الذين يستمرون بنسب الأسرة) . أما بالنسبة للأسر الفقيرة التي ترهقها الضرائب بحيث لا يستطيعون الإنفاق على الزوجين والأطفال في نطاق الأسرة ، فإن مشكلة استمرار الأسرة تكون مشكلة ميثوساً منها ولا تقبل الحل . وفي كثير من الحالات تكون النتيجة الحتمية هي إرسال أكبر الأبناء بالتبنى للعمل بالمدينة مع إفهامهم بأنه سوف يعود إلى المزرعة عندما يكون والداه مستعدين للاعترال أو اتباع

نظام الزراعة القائم على جماعة النساء ونهاية الأسبوع (Dore 1959: 276)
وفي هذه الحالة الأخيرة يكون لرأس العائلة عمل يتقاضى عنه راتباً ويترك
إدارة المزرعة لزوجته على الرغم من أنه يساعد في العمل المصني في عطلات
نهاية الأسبوع .

ولما كانت العائلة ie تعتبر أيضاً نظاماً للضمان الاجتماعي بالنسبة
لأفراد الأسرة الكبار ، فإن استمرار العائلة ie له أهمية حيوية بالنسبة
للأجيال من الآباء والأجداد . وينعكس هذا الاهتمام في الطرق المتبعة
في تربية الأطفال . والزوار الأجانب وعلى الأقل أولئك الذين تسنى لهم
الوقوف على ملاحظة طويلة ومباشرة لا يجدون بدأ من التعلق على تساهل
الأسر ونسائها مع أبنائها ، فالعقوبة البدنية من أى نوع نادرة إلى حد بعيد .
وتكافح الأسرة بكاملها لكي ترضي العاطفة على الطفل . والواقع أن الصبر
والاحتمال يعتبران خصيشتين ملحوظتين لدى الأم اليابانية العادية . وهناك
اهتمام مستمر بمشاعر الفرد يتجلى خلال النشاط الاجتماعية الكثيرة للعائلة
كما يتجلى في النشاط الاجتماعية بالمجتمع الكبير ، فالأم أوالجدة التي تحاول
إقناع ولد صغير بالعزوف عن عمل تخريبي أو خطر تقول له عادة : إنك
ولد طيب (oriko) ، ولا تسمع هناك على الإطلاق هذه الجملة : إنك ولد
شرير ، أو : الأولاد الأشرار يعملون ذلك ، ، بل تسمع : الأولاد الأخيار
لا يفعلون ذلك .

وبينما تبدأ عادات قضاء الحاجة في وقت مبكر ، فإنها لا تعلم بالعنف
وتظهر في الإمساك بالطفل الصغير وإخراجه من الشرفة عندما تتوقع الأم
أنه موشك على قضائها . لقد انتاب الذعر زوجة مؤلف هذا الكتاب عندما
شاهدت ابنها وكان قد بلغ ستة أشهر وقد أمسكت به على هذا النحو على
حرف الشرفة السيدة المعجوز التي كانت تساعدنا في العناية بالطفل . النقطة

المهمة هي أنه لم يكن هناك عنف .

ويستمر الاهتمام بمشاعر الشخص (Kimochi) حتى مستوى الكبار ،
لقد كان الموضوع الأول في الحديث في معظم حفلات الشرب التي حضرها
المؤلف كان ، كيف حالك ؟ . . لقد كان ذلك السؤال يوجه مباشرة بعد تناول
الكميتين الصغيرتين جداً من مشروب الساكي ، Sake . أما تفسير هذا السؤال
فهو أن الهدف من هذه الحفلات إنما هو إثناء المشاعر الطيبة بين المشتركين
فيها . والواقع أنها كانت وسيلة فعالة للغاية لتحقيق هذا الهدف إذ أن
الأنماط الاجتماعية للسكر التي تتأتى عن تناول كمية قليلة جداً من الكحول
في الواقع قد تضمنت البهجة بغير عدوان أو احتكاك .

ولقد عمدت الأسرة اليابانية من خلال مجموعة من الممارسات إلى التقليل
من الخلافات التي قد تنشأ بين الأجيال إلى مستوى محتمل وقد غرست الولاء
للعائلة ie بحيث تقوم كثير من العائلات كوحدات اجتماعية متعاونة مع
ثلاثة أو حتى أربعة أجيال مندرجة في تكوينها .

لقد تركز الوصف السابق للعائلة على النمط النموذجي للعائلة في الوضع
بالريف . والواقع أن القيم الريفية قد امتدت إلى المجتمع الحضري .
فالآباء الأكبر ينخرطون في أعمال آبائهم أو تجارتهم أو يضطلعون
بها بنفس الطريقة التي يندرج بها الشباب القروى في مجال الزراعة . وحتى
الابن المتحضر الذي يعمل في شركة بمرتب قد يستمر في حياته بالأسرة
على الرغم من أنه يعمل عادة لشركة مستقلة .

ولقد أثرت المستحدفات التي تأتت بعد الحرب في الأعمال التي يضطلع
بها نظام الأسرة التي ما تزال على الرغم من ذلك مرموقة كمثل أعلى وبخاصة
في الريف . ولقد قضت برامج الإصلاح الزراعى للاحتلال الأمريكى بأن
أحداً لا يستطيع امتلاك أرض أكثر مما كان يقوم بإفلاحه مع عائلته .

ولقد عمل هذا على التقليل من أصحاب الأرض والانخفاض بمستواهم إلى المستوى الاقتصادي للزارعين العاملين . ولقد عملت التجديدات في أساليب الزراعة وبخاصة إدخال المواد الكيميائية المبيدة للحشائش الضارة والاستخدام واسع النطاق للأسمدة الكيميائية وإدخال الآلات في النمط الزراعي الصغير المدى باليابان على التقليل بشكل واضح من ساعات العمل المطلوبة للنهوض بأمر مزرعة الأسرة . ولقد نشأ عن هذا التطور الأخير تسهيل نظام الزراعة القائم على « نهاية الأسبوع وجماعة النساء في القرية » .

ويستطيع الأفراد الكبار بالأسرة وهم في العادة الشبان الذين تلقوا تعليماً أكثر مما تلقاه آباؤهم أن يحصلوا على وظيفة طول الوقت في طوكيو أو غيرها ، ويظلون محتفظين بمزرعة وناهضين بأعبائها . ولم يعد الأبناء الأبقار مضطرين إلى اعتبار الفلاحة الوظيفة الأساسية في حياتهم . والواقع أن من الملاحظات العامة التي قدمها المسؤولون عن المدرسة المتوسطة في سهل كاتو بكامله هو أن الأبناء الأبقار لم يعودوا يختلفون عن الأبناء التوالى في رغبتهم في الاستمرار في تعلمهم إلى ما بعد المستوى الإلزامي حتى التعليم الثانوي ، ويرغب الجميع في الإندراج بالتعليم الثانوي كطريق مفض إلى وظائف أفضل من الناحية الاقتصادية بغض النظر عن مسؤوليات الشخص ناحية الأسرة Atotsugi . فمن الممكن الحصول على حياة أفضل في نطاق الوفاء بمسؤوليات الشخص تجاه استمرار العائلة ie .

ولقد عملت التغيرات التي حدثت في النظام التشريعي على القضاء على الدعائم التشريعية لنظام الأسرة التقليدي ، وبخاصة في المطالبة بأن يوزع الإرث بين جميع الأطفال . وعلى الرغم من أن القانون لا ينص على توزيع الأرض الزراعية المملوكة ، فإن هناك اهتماماً متزايداً بحقوق الأبناء الذين لا يرثون . ومن الناحية العملية فمن المستحيل تقسيم أرض مملوكة وتوزيع

يت وهما لا يكفيان إلا بالكاد لإعالة أسرة ابن واحد . وينظر إلى سد نفقات تعليم الابناء التوالى فى التعليم الأعلى على أنه يشكل بديلا للارث مما يعطى مثل هؤلاء الابناء القدرة على إلحاق أنفسهم بوظيفة جديدة بنفس الطريقة تقريبا التى ينخرط بها الابن الأكبر فى الزراعة . وكثيراً ما يحدث بالنسبة للابن الثانى أن يرث مزرعة الأسرة عن طريق عزوف الابن الأول عن الاستمرار بنسب الأسرة ومهنتها .

إن أقل مستوى من التنظيم السياسى الرسمى الذى يدل فيه الناس بأصواتهم لانتخاب ممثلين عنهم وانتخاب موظف إدارى هو (مدينة) Shi و (البلدة) Machi و (القرية) Mura . وليست هناك أحياء انتخابية فى نطاق مثل هذه الوحدة ، بحيث ينتخب أعضاء جمعية المدينة والبلدة أو القرية على نطاق واسع . ومن الناحية العملية هناك فى مكان كدينة نيبون قدر كبير من التنظيم السياسى المبدئى غير الرسمى حيث تتفق المائشى (بلدة) ومورا (قرية) وهى مناطق مستقلة رسمياً على نائب أو النواب الذين يجدون تأييداً من جانبها ويكون لديهم أصوات كافية لانتخابهم .

وعلى الرغم من السيطرة الصورية والرسمية لحكومة المدينة ، فإن هناك تنظيماً منسقاً لحكومة البوراكو - كو Buraku - Ku غير الرسمية . وتقوم حكومة المدينة بالتعامل مع هذه الوحدات . أما رئيس القطاع المنتخب محلياً (Kucho) ومجلسه فإنه يساعد فى التوسط بين المقيمين المحليين وبين حكومة المدينة . وفى انتخاب مثل هؤلاء الموظفين تلعب التقاليد غير الرسمية دوراً أكثر أهمية من الدور الذى يلعبه البناء السياسى الذى أعلن رسمياً بعد الحرب .

ويشكل الرجال المحليون ذوو النفوذ (yaryokusha) المجالس المحلية أو يرتبون لانتخاب الناس الذين يتولون النهوض بمصالح المجتمع المحلى

(75 : 1957 Ike) . وهؤلاء هم نفس الناس الذين يندرجون في انتخابات نواب المقاطعة لمجلس المدينة . وكثير من تلك الشخصيات صاحبة النفوذ (yuryo Kusha) في مقاطعة نيتشو كان لهم ارتباطات بأصحاب الأراضي فيما قبل الحرب . ولقد يبدو أن وجود إرتباطات يأحدى الأسر البارزة الراسخة القدم منذ ما قبل الحرب بالمقاطعة أو بالمناطق المجاورة أمر ضروري للحصول على مثل تلك المكانة . وكان هناك شاب في حوالى الواحدة والأربعين من إحدى المزارع القروية البعيدة جداً من الشخصيات ذات النفوذ yuryokusha بأقليم لونا وذلك لأنه كان رئيس العائلة ie التى كان ييدها أوسع الأراضي الزراعية بالمنطقة قبل الإصلاح الزراعى الذى أدخله الاحتلال الأمريكى . وبعد تخرجه في مدرسة للتدريب على التجارة البحرية قبل الحرب ، دعى إلى قريته بعد الحرب لكي يرأس عائلة من أقاربه ليس لديها أطفال . وحيث أنه كان حديثاً في تعلمه وفي تنوره ، فإن مكانة أسرته قد وضعته في مكان السلطة على الرغم من أن ثروات أسرته قد تقلصت إلى حد بعيد نتيجة برنامج الإصلاح الزراعى . فلولا ذلك لكان وزوجته الآن زراعا لطول الوقت .

وثمة شخصية أخرى ذات نفوذ تحتل مكانة مرموقة في الوظائف المحلية لمقاطعة نيتشو كان من السلالة المباشرة للأسرة التى وضعت مبدأ الاحتفاظ ، للورد Lord قلعة مدينة نيون في الأزمنة السابقة على الوقت الحديث .

وثمة زعيم للشخصيات البارزة في مقاطعة نيتشو كان الابن الثانى لأسرة أحد أصحاب الأراضي الذى لم ينجح رسمياً لكي يصير رئيساً لتلك الأسرة ولم يتل أكثر من مكانة منخفضة من التعليم بمدرسة خاصة متوسطة قبل الحرب . ولقد صار أحد رجال الأعمال وقد بدأ أعماله وطورها ، أعنى

مصنع ما كينات الحياكة ، وذلك بفضل شهرته المحلية علما بأنه واحد من
لوثك الذين مولوا الحملة الانتخابية للمعدة . وهو يمتلك في الوقت
الحاضر مصانع متعددة في أجزاء مختلفة باليابان ، ولقد وصفه
واحد من المدرسين المحليين الذين ظلوا يعملون هناك لمدة طويلة
بأنه رجل « لم يكن يحب السياسة ، فهو لم يسع إلى الحصول على منصب
سياسي ولم يتول أحد هذه المناصب . ولكنه كان رئيساً للفرقة التجارية
والصناعية بمدينة نيون و نائباً لرئيس مجلس منظمة بنفس الاسم ورئيساً
لمجلس الأمناء على المزار القائم ببلدة طوكاي ، ورئيساً لمجلس الآباء والمعلمين
بمدرسة نيتشو المتوسطة لمدة ثلاثين عاماً ، ورئيساً لمجلس الآباء والمعلمين
لأحسن المدارس مكانة وهي مدرسة اتشيكو الثانوية ، كما أنه
الرجل الذي يرجح بالدرجة الأولى تعيينه رئيساً لاية منظمة جديدة تشكل
في مقاطعة نيتشو . ولقد انتخبته المنظمتان الجديدتان المشكلتان في عام ١٩٦٢
كرئيس لكل منهما . وكانت أحدهما جماعة ناد للهواة تشكلت لمساعدة أحد
أولاد أقليم يونا المحلي الذي أبلى بلاء حسناً كلاعب محترف في كرة
«الباسبول» في فريق قومي بارز . أما المنظمة الأخرى فقد أقيمت لكي
تناقش المشكلات المتعلقة بتشرد الأحداث وتقديم الحلول المحلية لها .

ومع أنه قد يكون رئيساً بالاسم فقط لبعض منظماته فإنه يظهر في
المناسبات الاحتفالية أو العامة ممثلاً لتلك للمنظمات ، وواضح أنه كان
يتمتع بمظاهر المكانة الرفيعة التي خولتها له وظائفه المتفرقة . وليس من
قبيل التمثيل للزعامة التقليدية في منطقة فيها الزعامة في العادة رزينة وبعيدة عن
الأنواء ، أن هذا الرجل كان ولداً تربى في المدينة وله ارتباطات عائلية طيبة
وقد شق طريقة بنجاح في عالم الأعمال . وعلى الرغم من أن أعماله قد امتدت إلى
أجزاء كبيرة في وطنه ، فلقد اثبت في زعامته للمنظمات المحلية أنه قد أرسى

منجزاته وحقق متعته . ولقد استخدم جزءا كبيرا من ثروته — وهو الحائز على ثروة هائلة . في المساهمة في المشروعات المحلية وليس في الاستهلاك الشخصي المنافي للذوق الاجتماعي . ولما كان هذا الرجل متشدداً في تأكيده للبساطة الأسرية فإنه لم يعمد إلى توفير خادمة لزوجته لمساعدتها في شغل البيت وهو بيت بسيط . ولقد أسهم بمبالغ طائلة منها خمسة ملايين ين (١٤٠٠٠٠ دولار) لإنشاء مبنى للألعاب الرياضية لإحدى المدارس المتوسطة الجديدة التي تماقت شركته مع المدينة على لإنشائها ، كما أنه قدم نفس القدر من المال لترميم مدرسة طوكاي الأولية ، كما قدم مبلغاً أقل لبناء مدرسة ثانوية صناعية جديدة في مقاطعة نيتشو ، وقدم مبلغاً أكبر كاعتماد مالي لمنحة تستخدم لتشجيع طلاب المدرسة الثانوية الصناعية في جميع المناطق التي أقيمت بها مصانعه .

ويبدو أن الخصائص العامة اللازمة للرجل ذي النفوذ ynryoknsha حتى يستطيع أن يحصل على المكانة المرموقة هي (١) توافر ارتباطات عائلية محلية طيبة . (٢) توافر علاقة بأصحاب النفوذ ممن كانوا أصحاب الأراضي قبل الحرب في المناطق الريفية . (٣) النجاح في التجارة وفي العلاقات الاجتماعية (٤) السن (٥) القدرة . على أنه ليس ضروريا توافر جميع هذه المؤهلات ، ولكن كلما تضافرت بعضها مع بعض كلما كان هناك فرصة أكبر لاحتراز امتياز ومكانة اجتماعية أفضل .

وثمة شكل أكثر حداثة من القيادة المحلية ومن الاقتراب من زمرة أصحاب النفوذ ynryokusha يتم من خلال التعليم ومن خلال المكانة الوظيفية . ويتبدى هذا في الطبيب الذي يعيش ويمارس الطب في كفر Buraku نامى Nami الشرقى (ييونا) . وعلى الرغم من الحياة المنهكة للطبيب العام مع المرضى الذين يقبلون عليه في كل ساعة ، فإن هذا الرجل

يحتال للأمر بحيث يجد الوقت لكي يكون إيجابيا في كثير من مواقف التأثير المحلي . فهو رئيس مجلس الآباء والمعلمين بالمدرسة الأولية وهو واحد من منظمي الجمعية الجديدة التي اقيمت لدعم بطل الباسول المحلي ، وقائب رئيس جمعية الآباء والمعلمين بنيتشو . وهذه بعض من كثير من الوظائف الاجتماعية التي ينهض بها .

وإلى جانب أولئك الأشخاص من أصحاب النفوذ الذين يسكون بزمام مراكز رسمية ممتازة من الناحية الشعبية ، فإن هناك آخرين يحس بتأثيرهم خلف الكواليس . وتنطبق نفس المؤهلات المطلوبة للمكانة التي يحظى بها الـ yuryokusha التي ذكرناها آنفا على أولئك الرجال ، ولكن من الصعب على الباحث الأجنبي الذي له ارتباطه بالمدرسة المتوسطة أن يعرفهم . على أنه لا يصح أن نعتبر أولئك الذين يحظون بالمراكز الرفيعة yuryokusha مجرد رجال في المقدمة ، فالواقع أن كلا النوعين من القادة يمسك بزمام السلطة السياسية المحلية والسلطة الاجتماعية .

ومن الجدير بالملاحظة تحقيقا لأهداف المقارنة أن الباحثين اليابانيين في جنوبي اليابان الذين أولوا اهتمامهم إلى دراسة العلاقة بين السلطة السياسية المحلية وبين المنظمات التربوية في المنطقة الريفية وجدوا أن أوضاع القيادة في منظمات المجتمع المحلي اعتبرت بل كانت في الواقع سلما للوصول إلى الوظائف السياسية الرسمية كعضوية الجمعية الانتخابية أو التعيين في عضوية مجلس التعليم . (yano 1961)

على أن مدرسة نيتشو المتوسطة ليست مجرد مؤسسة للمجتمع المحلي بل إنها أيضاً جزء من نظام مدرسي رسمي يرتبط برمته بالمدارس الأخرى بعدد من حلقات الاتصال الهامة . وفي الفصل التالي سوف نستكشف هذه الحلقات التي تربطه بالنظام المدرسي مع التأكيد على التطور التاريخي والأساليب التي على أساسها يوجه أطفال مدينة نيون خلال النظام التعليمي .